

إذاعة الشرق الأدنى / صوت بريطانيا

محطة الإذاعة العربية البريطانية «السريّة» وكارثة دعاية حرب السويس

دوغلاس أ. بويد

إنّ محطات الإذاعة التي تديرها الحكومات، والمجموعات السياسيّة المعارضة، والجيش، وتحاول التعقيم على هويّتها الحقيقيّة ليست غير مألوفة، بل إنّها كانت شائعة تقريباً حتى نهاية الحرب الباردة. وكانت مثل هذه العمليّات التي تحاول إخفاء هويّتها وموقعها وغايتها الحقيقيّة منتشرة في أثناء الحرب العالميّة الثانية، وبخاصّة في أوروبا. ومن الصعب جداً تعريف هذه الإذاعات لأنّها بطبيعتها مختلفة بعضها عن بعض، كما أنّها كانت تُنشأ لأغراض استراتيجيّة، سياسيّة وعسكريّة بالدرجة الأولى. ويخطر في البال تعبير 'محطة إذاعة سريّة'، لكنّه لا ينطبق على هذه الدراسة.

إنّ محطات الإذاعة السريّة، وفقاً لبراون (١٩٨٢: ٦٢) هي المحطات التي لا تعلن عن هويّتها أو موقعها، أو تدّعي أنّها تبث من داخل بلد «معاد». وفي أثناء الحرب العالميّة الثانية، نشط البريطانيّون كثيراً في هذه النوع من الإذاعات، وكانوا يبثون من مواقع مثل أسبيدسترا، وهو مرفق قويّ بإدارة بريطانيّة، ويستخدم موجة متوسّطة أميركيّة الصنع، كان يبث من إنكلترا إلى أوروبا وشمال إفريقيا باستخدام هويّات متعدّدة (سولي، ١٩٨٩؛ وود، ١٩٩٢). وشهدت الحرب الباردة إنشاء إذاعة أوروبا الحرّة وإذاعة التحرير (تغيّر اسمها لاحقاً إلى إذاعة الحرّة)، وهما محطتان إذاعيّتان أنشأتها ومولّتهما وكالة الاستخبارات الأميركيّة (سي آي إيه) إلى أن كشفتها على الملأ في أوائل السبعينيّات (كريتشلوف، ١٩٩٥؛ ميكيلسون، ١٩٨٣). وقد تورّط العديد من الحكومات في إذاعات سريّة لأسباب مختلفة، اعتقاداً بأنّها كانت، أو كانت حقاً، أداة مهمّة من أدوات السياسة الخارجيّة أو العسكريّة.

تراجع هذه الدراسة عن إذاعة الشرق الأدنى تاريخ هذه المحطة التي أدارتها الحكومة البريطانيّة على ضوء التطوّرات السياسيّة والعسكريّة المتعلقة ببريطانيا في الشرق الأوسط، في أعقاب انتهاء انتداب عصبة الأمم / الأمم المتحدة على فلسطين. وتكتسب هذه الدراسة أهميّة كبيرة لأنّها تساعد في توثيق المخاوف البريطانيّة والغربيّة على السواء في الشرق الأوسط في الخمسينيّات، لا سيّما بعد الثورة المصريّة التي أوصلت جمال عبد الناصر إلى السلطة.

خلفية الإرسال الإذاعي في الشرق الأوسط

الشرق الأوسط منطقة مهمة لمحطات الإذاعة عبر الحدود والمستمعين منذ الثلاثينيات، عندما بدأ موسيليني البثّ الإذاعيّ من راديو باري (سُمّي نسبة إلى موقع البثّ في جنوب شرق إيطاليا) إلى الشرق الأوسط بالعربية. ولم يتّضح الدافع لهذه الخدمة إذ كانت أجهزة الاستقبال الراديوية قليلة جداً في الشرق الأوسط في ذلك الوقت. وكان أصحاب أجهزة الراديو بحاجة إلى الكهرباء المنزلية، وهي آنذاك لم تكن متوفرة سوى بشكل متفرّق في المناطق الحضرية. ففي العشرينيات والثلاثينيات، كان هناك بضع محطات خاصة لتوليد الكهرباء في مصر الخاضعة للنفوذ البريطانيّ، لكنّ البرامج الإيطاليّة الناطقة بالعربية كانت تحتكر البرمجة من خارج العالم العربي. واستبقا للمغامرات العسكريّة في شمال إفريقيا وإثيوبيا، تزايدت حدة هجمات موسيليني الإذاعيّة بالعربية على بريطانيا بعد سنة ١٩٣٥. وأحدث ذلك بعض القلق لدى الدبلوماسيين البريطانيين في مصر وفلسطين وشرق الأردن ومشيخات الخليج العربيّة، التي كانت تعرف باسم دول الهدنة. أخطرت وزارة الخارجية والمستعمرات البريطانية بالتأثير المحتمل لمثل هذا البثّ الإذاعيّ، لكنّ المعلومات الارتجاعيّة المستقاة من البرقيات والمذكرات الدبلوماسية خلصت في ذلك الوقت إلى أنّ تلك البرامج لم تكن فعّالة جداً في تغيير الرأي العامّ (مراسلات دبلوماسية، بدون تاريخ).

على الرغم من عدم المبالاة البريطانية تجاه البثّ الإذاعيّ من باري في البداية، فقد أفادت التقارير المتداولة بأنّ البرامج الإيطاليّة المعادية لبريطانيا لقيت آذانا صاغية وكانت فعّالة في الترويج للمصالح الإيطاليّة. وجاء بعض هذه التقارير من المستعربين الذين كانوا يدركون، في ظل الثقافة الشفهيّة المهيمنة في المنطقة، أهميّة التأثير المحتمل للبرامج العربيّة المقدمّة بشكل ذكيّ إلى جمهور أمّيّ إلى حدّ كبير. كما أنّ بعض الغربيين الواسعي الإطلاع المقيمين في العالم العربي كانوا يعرفون أنّ الرجال معتادون على ارتياد المقاهي في الليل لاحتساء الشاي والقهوة والتباحث في السياسة. وكان بعض أصحاب المقاهي يقتنون أجهزة الراديو لاجتذاب الزبائن والمحافظة عليهم.

في سنة ١٩٣٦، أدركت الحكومة البريطانية المخاطر المحتملة لنشوب نزاع دوليّ مسلّح، لا سيّما في أوروبا. وفي ذلك الوقت كانت هيئة الإذاعة البريطانية، وهي الإذاعة الراسخة في المجتمع البريطانيّ والنموذج الذي يحتذى في كثير من أنحاء العالم، تحتكر البثّ الإذاعيّ في المملكة المتحدة. وقد بدأت البثّ الخارجيّ، المعروف باسم الخدمة الإمبراطوريّة، في سنة ١٩٣٢ كامتداد للخدمة المحليّة التي تُبثّ بالإنكليزيّة فقط، وتتوجّه بالدرجة الأولى إلى المواطنين البريطانيين في الخارج. لكنّ المملكة المتحدة كانت تدرس احتمال إطلاق إذاعات بلغات أجنبيّة. وفي سنة ١٩٣٦، سألت وزارة الخارجيّة البريطانية والمستعمرات الدبلوماسيين في كل أنحاء العالم عن رأيهم بأنّ تبثّ هيئة الإذاعة البريطانية باللغات الأجنبيّة. وقد أجمعت البعثات الدبلوماسية في الشرق الأوسط على إضافة خدمة بالعربية (مانسل، ١٩٨٢). وفي ٣ كانون الثاني/يناير ١٩٣٨، بدأت الخدمة الإمبراطوريّة البثّ بالعربية بشكل رسميّ، أول لغاتها الأجنبيّة (الإذاعات العربيّة، ١٩٣٨). شكل ذلك بداية أول حرب إذاعيّة دوليّة بين البلدان

الغربية في منطقة نامية. وعندما بدأت هيئة الإذاعة البريطانية خدمتها العربية، أعلنت أنها ستكون ذات مستوى عالٍ استثنائي، فيما كانت بريطانيا تمتلك الموارد والتصميم لتحقيق هذا الهدف. فاستخدمت هيئة الإذاعة البريطانية مذيعين مصريين، وسعت إلى استقدام القادة العرب البارزين فضلاً عن المغنّين والموسيقيين إلى لندن. وحاول راديو باري الذي يبث بالعربية مواجهة تحدي الراديو البريطانيّ بزيادة التعليقات السياسيّة ذات الطليعة القدحيّة.

يقال إن إيطاليا وزّعت في أواسط الثلاثينيات أجهزة راديو مجانيّة تلتقط ترددات راديو باري فقط على المؤيدين السياسيّين المتعاطفين وأصحاب المقاهي الداعمين، لكن المؤلف لم يعثر على أي دليل يدعم هذا الزعم. بيد أن أجهزة الراديو أصبحت أكثر شيوعاً في البيوت الحضريّة والمقاهي في سنة ١٩٣٨. ولم تكن ما تسمّى بالحرب الإذاعيّة بين بريطانيا وإيطاليا سوى منافسة وجيزة على القليل من المستمعين في العالم العربي. ودامت هذه الحرب بين كانون الثاني/يناير ونيسان/أبريل ١٩٣٨ فحسب، وتوقّف البثّ العدائيّ بشكل رسميّ في ١٦ نيسان/أبريل ١٩٣٨ بتوقيع الميثاق الأنكلو إيطاليّ (غراندن، ١٩٣٩). غير أن ألمانيا النازية بدأت البثّ بالعربية لأول مرة في نيسان/أبريل ١٩٣٨ (بيرغمير ولوتز، ١٩٩٧)، عندما أصبح الميثاق نافذاً. وأصبحت ألمانيا بديلاً عن الراديو الإيطاليّ، وقدمت نهجاً جديداً بإضافة موضوعات معادية لبريطانيا واليهود قدمها العديد من المنفيين العرب البارزين، بمن فيهم رشيد عالي الكيلاني، وهو رئيس وزراء سابق للعراق، والحاج أمين الحسيني، الزعيم الروحيّ للفلسطينيين العرب ومفتي القدس. كما عمل الحسيني مستشاراً لإذاعة سرية نازية، صوت العرب الأحرار، التي بدأت في ٩ أيار/مايو ١٩٤١ بثّ برنامج مدته ٣٠ دقيقة إلى مصر (بيرغمير ولوتز، ١٩٩٧).

في سنة ١٩٣٩، بدأ الإتحاد السوفيتي وفرنسا البثّ الإذاعيّ باللغة العربية. وكان للفرنسيين، الذين لديهم مصالح في ذلك الوقت في شمال إفريقيا ولبنان وسورية، ميزة امتلاك مرافق للموجة المتوسطة هناك من أجل البرمجة المحليّة، أو التأثير في البرامج المحليّة، أو إعادة بثّ البرمجة العربية في باريس. وكان للبريطانيين ميزة مماثلة في البرامج العبرية والعربية والإنكليزية من خلال هيئة الإذاعة الفلسطينية في القدس.

لا يستطيع المرء تقييم تأثير الإذاعات الإيطاليّة والبريطانية والألمانيّة والسوفيتية على العالم العربي في سنوات الحرب. فلا يزال بحث جمهور المستمعين، باستثناء ما تجرّبه محطات الإذاعة الغربية الكبرى، نادراً في العالم العربي، ولم تجرّ أي أعمال مسح في الثلاثينيات. وكانت بريطانيا وألمانيا أكثر البلاد التي تبثّ إلى العالم العربي نشاطاً في أثناء الحرب العالمية الثانية. فقد شجّع كل بلد تطوّر الشخصيات الإذاعيّة القويّة. فاستخدمت الإذاعة النازية العربية العراقيّ يونس البحريّ، وهو من أمهر المذيعين بالعربية، للإذاعة من أوروبا. لكن كان يوجد لدى هيئة الإذاعة البريطانية مذيعون مشهورون في أثناء الحرب. منهم عيسى صباغ، وهو فلسطيني نال الجنسية الأميركيّة في ما بعد، وعمل مسؤولاً في الخدمة الخارجية لوكالة الأميركيّة للإعلام، وكان من المذيعين الذين لديهم جمهور واسع في العالم العربي. وذكر برنور (١٩٥٣) في دراسته التي أجراها في أوائل الخمسينيات أهميّة المقهى كمكان يستمع فيه الرجال للإذاعة، ولاحظ أنّ المقهى 'مركز شديد الأهميّة مماثل للمتجر الريفي في الولايات المتحدة في الماضي' (برنور،

١٩٥٣ : ١٥٠). وتشير أعمال المسح إلى أن الإذاعة بقيت نشاطاً شهيراً في العالم العربي في أعقاب الحرب العالمية الثانية. بل إن الإذاعات ظلّت تسمع في قاعات الاستقبال في الفنادق وفي المتاجر في دول الخليج الحديثة حتى التسعينيات، عندما أصبحت المحطات التلفزيونية الفضائية وسيلة التسلية المنزلية الرئيسية. ولا تزال أجهزة راديو السيارات أجهزة قياسية في بداية الألفية الجديدة، لا سيما مع تزايد برامج الإيف إم.

محطة الإذاعة الفلسطينية: إذاعة الشرق الأدنى

مع أن البدايات الدقيقة لإذاعة الشرق الأدنى البريطانية باللغة العربية لا تزال مجهولة بسبب استمرار عدم إتاحة بعض السجلات المهمة للحكومة البريطانية أمام العامة، فإن هوروفيتز (١٩٦٨) يقول إن المحطة بدأت البث من يافا في سنة ١٩٤٢. ويرى توماس (١٩٦٦) أنها بدأت في سنة ١٩٤١. ومن المرجح أن يكون الجيش البريطاني وأجهزة استخبارات الحلفاء قد أقامت أعمدة إرسالها واستديوهاتهما في أثناء الحرب العالمية الثانية كجزء من الجهود الإعلامية الإقليمية غير المقتصرة على الراديو للقوات الحليفة/القوى المناهضة للمحور المتمركزة في فلسطين. ففي ذلك الوقت، حاول البريطانيون التأثير على الإعلام المسموع والمقروء في مسعى لاجتذاب العرب للانضمام إلى القوات البريطانية والقوات التي تدعمها بريطانيا، بالإضافة إلى استغلال وسائل الإعلام للمحافظة على الاستقرار السياسي والاقتصادي في فلسطين، وهي المنطقة التي انتدبتها عليها عصبة الأمم. وكان البريطانيون والأميريكيون يتطلعون أيضاً إلى دول الخليج العربية بعد انتهاء الحرب، حيث اكتشف النفط في أوائل الثلاثينيات. ومن المشاكل الشائكة للبريطانيين والعرب المناهضين للنازية ميزة رئيسية تمتعت بها الدعاية النازية: فقد هرب الزعيم الفلسطيني الديني (المؤيد للنازيين) إلى ألمانيا وأقام فيها - وأجرى بعض الأحاديث الإذاعية - في أثناء الحرب العالمية الثانية.

وأشار سولي (١٩٨٩) إلى الارتباط بين العملية الدعائية البريطانية SO2 في الحرب العالمية الثانية (كان لديها عمليات إذاعية في فلسطين) وخليفة SO2، إدارة العمليات الخاصة البريطانية (التي تبنت الدعاية وعمليات المقاومة المسلحة في أثناء الحرب). وكانت فلسطين طوال الحرب العالمية الثانية المكان المثالي الآمن للبث الإذاعي للحلفاء إلى الشرق الأوسط وأنحاء من آسيا وجنوب أوروبا. وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، لم يكن لدى بريطانيا متسع من الوقت للاحتفال بانتصار الحلفاء على ألمانيا النازية، فقد دمر المجهد الحربي الاقتصاد البريطاني. كما أن العديد من العاملين في الحكومة البريطانية أدركوا أن البلاد التي تمارس عليها نفوذاً سياسياً واقتصادياً في الشرق الأوسط وإفريقيا ستنجح في الحصول على الاستقلال. وأدركت بريطانيا أنها حتى لو كانت ترغب في المحافظة على هذا التأثير، فإنها لا تملك الموارد المالية للقيام بذلك. وأخيراً، كانت بريطانيا تعرف أن المواجهة بين العرب واليهود في فلسطين تحتم عليها الانسحاب من ذلك البلد الذي ما زالت تديره بموجب انتداب الأمم المتحدة. وقبل الانسحاب البريطاني من فلسطين في أيار/مايو ١٩٤٨، نُقلت إذاعة الشرق

الأدنى إلى قبرص التي كانت لا تزال خاضعة للسيطرة البريطانية. في البداية كانت المحطة تبث برامجها العربية التجارية من أربعة مواقع إرسال قصيرة الموجة قرب ليماسول. لكن في سنة ١٩٥٥، أصبح البث متاحاً من موقع إرسال بموجة متوسطة طولها ٦٣٥ كيلو هيرتز (World Radio Handbook, 1957: 88). ولم تدرك الإذاعات الدولية - في البلدان العربية وفي أوساط المبرجين الإذاعيين الغربيين مثل هيئة الإذاعة البريطانية - إلا في الخمسينيات إحدى الخصائص الفريدة للإذاعة في العالم العربي: يتم الاستماع إلى قسم كبير من البرامج الإذاعية خارج المنازل على الموجة المتوسطة، أي نطاق إيه إم القياسي. يتم تمويل هيئة الإذاعة البريطانية للبث الإذاعي الدولي من الحكومة، لا من من دافعي رسوم رخصة الراديو المحليين، وبدأت وزارة الخارجية تتحدث عن إعادة بث برامج هيئة الإذاعة البريطانية بالموجة المتوسطة من قبرص لخدمة غايتين اثنتين. فثمة مرفق برسالة سرية مرسله من سي سي بي ستوارت من دائرة السياسة الإعلامية بوزارة الخارجية بتاريخ ٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩٥٦ (ستوارت ١٩٥٦) بخصوص تمويل محطة إعادة بث برامج هيئة الإذاعة البريطانية في قبرص، وهو عبارة عن وثيقة من عدة صفحات بعنوان: 'إنشاء محطة إعادة بث في قبرص لخدمة الشرق الأوسط' بتاريخ ١١ تموز/يوليو ١٩٥٦. بعد بحث البث بالموجة القصيرة إلى العالم العربي، تقول المذكرة: "لكن هناك عامل آخر ذو أهمية مساوية [للموجة القصيرة]. وهو النمو السريع في السنوات الأخيرة للبث بالموجة المتوسطة في الشرق الأوسط. فثمة العديد من الإذاعات القوية التي تبث بالموجة المتوسطة بالفعل، ومزيد من المحطات قيد الإنشاء. ويمكن استقبال إرسال هذه المحطات بشكل أسهل بكثير وأوضح من البث بالموجة القصيرة من أوروبا، لذا فإن المستمعين أخذوا يعولون على الموجة المتوسطة أكثر فأكثر. ويمثل هذا الاتجاه دون شك تهديداً خطيراً للخدمة العربية بهيئة الإذاعة البريطانية، حيث تنحصر تماماً بالموجات القصيرة في الوقت الحاضر. (Establishment of...، 1956).

تتابع الوثيقة، حيث تذكر بث صوت أميركا الموجه إلى العالم العربي بالموجة المتوسطة من مدينة سالونيك اليونانية الساحلية، وسفينة أميركية، يو إس إس كورير USS Courier، راسية في البحر المتوسط. وتشير أيضاً إلى أن إذاعة الشرق الأدنى تملك مرفقاً للبث بالموجة المتوسطة وأن جهاز الإرسال المقترح بالموجة المتوسطة لهيئة الإذاعة البريطانية يجب أن يكون في الموقع نفسه. لقد كان هناك ما يدعو البريطانيين للقلق بشأن تأثير البث الإذاعي بالموجة المتوسطة في العالم العربي. ففي أعقاب الثورة المصرية في سنة ١٩٥٢، صارت الإذاعات التي تبث من القاهرة، مثل صوت العرب، تُسمع في كل أنحاء العالم العربي على الترددات المتوسطة (بويد، ١٩٧٥). ولم تكن بريطانيا وحيدة في توقعها احتمال إقدام عبد الناصر على تأمين قناة السويس بعد مغادرة البريطانيين المنطقة في حزيران/يونيو ١٩٥٦.

فور مغادرة البريطانيين فلسطين، تعرّضت إذاعة الشرق الأدنى للانتقاد من قبل الفئات اليهودية السياسية المختلفة باعتبارها محايية للعرب، وبخاصة للملك عبد الله عاهل شرق الأردن. وتحتوي ملفات هيئة الإذاعة البريطانية على مذكرة مثيرة للاهتمام صادرة عن إ. مارمورستين إلى ممثل هيئة حكومية بريطانية غير محددة في الشرق الأوسط، تشير إلى مذكرة الممثل بتاريخ ٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩٤٨، في أعقاب رحلة إلى قبرص يذكر فيها محاولة إذاعة الشرق

الأدنى 'تمويه هويتها' (مارمورستين، ١٩٤٨). وتتابع المذكرة لتطرح مسألة برلمانية بشأن الموضوع الذي حدث في ١٦ حزيران/يونيو ١٨٤٨:

سأل السيد باريتان وزير الدولة للشؤون الخارجية إذا كان يدرك أن محطة الإذاعة في قبرص، التي تديرها دائرة الإعلام في وزارة الخارجية، تشجع العرب على غزو فلسطين، حيث دعت في ٢٨ أيار/مايو العرب إلى احتلال حيفا، وإذا كان سيدلي ببيان.

السيد بيفان: لقد اطلعت على تقرير مراقبة بث إذاعة الشرق الأدنى العربية بشأن نشاط عسكري عربي محتمل. وهذه الإذاعة لا تديرها دائرة الإعلام في وزارة الخارجية...

المقدم الطيار هلمبرتس: من يديرها إذاً؟

السيد بيفان: تديرها مجموعة من الأشخاص المرتبطين بالعرب.

السيد بيكتورن: هل يستطيع وزير الخارجية أن يخبرنا من الذي منحها الرخصة وما هي الولاية القانونية لهذه الهيئة؟

السيد بيفان: إنها تدار في فلسطين، وقد نُقلت إلى قبرص لأسباب تقنية. والأشخاص الذين يديرونها هم الأشخاص أنفسهم الذين أداروها في فلسطين منذ سنوات. (مارمورستين، ١٩٤٨).

في أعقاب اتفاق الهدنة الأولي الذي رعته الأمم المتحدة وأنشأ حدود دولة إسرائيل، يبدو أن الإذاعة حوّلت اهتمامها إلى اكتساب جمهور واسع لاجتذاب المعلنين باستخدام البرمجة الشعبية. وكانت إذاعة الشرق الأدنى من بعض الجوانب نسخة مبكرة من راديو مونت كارلو الشرق الأوسط، وهي الإذاعة الشهيرة ذات التوجه الموسيقي والإخباري التي تملكها الحكومة الفرنسية وتبث على الموجة المتوسطة من قبرص، والتي اجتذبت جمهوراً واسعاً من المستمعين في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات قبل أن تصرف التلفزيونات الفضائية اهتمام بعض المستمعين عن الإذاعة. فقد كانت الأخبار والموسيقى الركيزتين الأساسيتين للثب التجاري لإذاعة الشرق الأدنى، حيث كانتا تصلان إلى جمهور كل محطات الإذاعة التي تتوجه إليه في ذلك الوقت تديرها الحكومات، وبالتالي كانت محطات دعائية غير تجارية. وقد ناهز عدد العاملين في إذاعة الشرق الأدنى في قبرص ٧٠ موظفاً، بالإضافة إلى العاملين الموجودين في مرفق الإنتاج في بيروت، وعدد كبير من مراسلي الأخبار في كل أنحاء العالم العربي. وانتهجت هذه الإذاعة أيضاً سياسة استخدام أكبر عدد ممكن من الموظفين العرب المسيحيين، معتقدة، خطأً كما تبين، أنهم سيقون مخلصين لأسيادهم البريطانيين في حال عرفت الطبيعة الحقيقية للإذاعة (جواد زادة، مدير البرامج الأجنبية، إذاعة الأردن، مقابلة شخصية، عمان، الأردن، ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٠). ويلحظ جدول برامج يعود إلى ٢٨ حزيران/يونيو ١٩٤٨، على سبيل المثال، أن البث يبدأ في الواحدة صباحاً بالتوقيت المحلي حتى التاسعة والربع مساءً. وكان تبث كل ساعة تقريباً الأخبار، أو أقوال الصحف، أو حديث، أو برنامج إذاعي

خاصّ، (جدول برامج إذاعة الشرق الأدنى، ١٩٤٨). وفي سنة ١٩٥٠، كانت الصيغة مماثلة تقريباً، لكن البرامج تبدأ في السادسة إلا خمس دقائق صباحاً (جدول برامج إذاعة الشرق الأدنى، ١٩٥٠). وكان هناك جدول برامج مماثل جداً ينتهي في الثامنة والنصف مساءً بين الحين والآخر في سنة ١٩٥٢ و ١٩٥٤ و ١٩٥٦ (جدول برامج إذاعة الشرق الأدنى، ١٩٥٢، ١٩٥٤، ١٩٥٦). ويعتبر موعد نهاية البرامج المبكر نسبياً في المساء مثيراً للاهتمام بالنسبة لمستمعين يميلون إلى السهر أكثر من المستمعين في الغرب، لا سيّما حين شهد حجم المستمعين ارتفاعاً كبيراً في الخمسينيات بعد غياب الشمس مع إضافة جهاز الإرسال بالموجة المتوسطة بطول ٦٣٥ كيلوهيرتز. كان ذلك بالطبع قبل ابتداء المحطات التلفزيونية في المنطقة، عندما أجزت محطات الإذاعة الغربية والعربية تعديلاً على جداول برامجها لأنّ المستمعين تحوّلوا إلى البرامج التلفزيونية الشهيرة في المساء.

لم يكن ارتباط الحكومة البريطانية بالإذاعة خافياً على كثير من المستمعين، وقد أشار هال في كتابه «قوة الراديو» Radio Power إلى أنّ اللبنانيين كانوا يشيرون إلى الإذاعة باسم 'فرسان القديس جورج'، نسبة إلى القطعة النقدية المعدنية المتداولة في ذلك الوقت والتي يظهر رسم لذلك القديس عليها (هال، ١٩٧٥: ١٢١). وكتبت باربرا كاسل، وهي سياسية بريطانية بارزة في الخمسينيات، أنّ الإذاعة كانت في البداية مستقلة عن الحكومة البريطانية، لكنّها بقيت على اتصال بوزارة الخارجية وساعدت في "تسويق" السياسة البريطانية، فضلاً عن الصادرات البريطانية، في البلاد العربية - وكانت ناجحة في ذلك لأنّها لم تكن مرتبطة بتوجيهات رسمية (كاسل، ١٩٥٦: ٨٣٢).

تشير المصادر المتعددة التي استشيرت في هذه الدراسة إلى أنّ هيئة الإذاعة البريطانية كانت تدرك تماماً أنّ الحكومة البريطانية تموّل إذاعة الشرق الأدنى، وأنها ترددت في نهاية الأربعينيات في التورط في تبادل الموظفين أو مشاريع الإرسال المشتركة، إذ يمكن أن يؤدي ذلك إلى الإساءة إلى سمعة الهيئة بالتغطية الإخبارية النزيهة والمستقلة. مع ذلك فإنّ بعض الأشخاص داخل هيئة الإذاعة البريطانية وجدوا فائدة في بعض التعاون على ضوء الظروف المالية الضيقة التي تمرّ بها الإذاعة الخارجية بعد الحرب العالمية الثانية. وفي رسالة بتاريخ ٢٨ آذار / مارس ١٩٥١، كتب إ. ك. لاست من وزارة الخارجية إلى ج. ب. كلارك، مدير الخدمات الخارجية بهيئة الإذاعة البريطانية، طالبا المساعدة في توظيف مدير ونائب مدير لإذاعة الشرق الأدنى. وعلق السيد لاست بظرف، وذلك نادر على ما يبدو في مراسلات وزارة الخارجية، على مستقبل الإذاعة أيضاً: 'لا يمكنني القول في الوقت الحاضر أكثر من أنّها ستستمرّ سنتين آخرين... لكنك تقدّر أنّ القرار عائد للعناية الإلهية - أو ربما لممثليها هنا في لندن!' (لاست، ١٩٥١). وقد استمرت الإذاعة عدّة سنين بالفعل، وكانت الخدمة الخارجية في هيئة الإذاعة البريطانية حريصة على التعاون مع الهيئة الحكومية التي ساعدت في تحديد مستوى تمويلها. وفي رسالة مصنّفة بأنّها 'سريّة' من ك. ف. أ. ورنر من وزارة الخارجية إلى الجنرال السير إيان جاكوب في مقرّ إرسال هيئة الإذاعة البريطانية، لاحظت الحكومة اهتمام هيئة الإذاعة البريطانية في التعاون:

تذكر أنك أخبرتني في الشهر الماضي بأنك تفكر في احتمال التعاون بين هيئة الإذاعة البريطانية وإذاعة الشرق الأدنى. ونحن ننظر في ذلك، ونوافق على أنه قد يكون من المفيد أن تتعاون الإذاعتان بالطريقة التي اقترحتها، بحيث أجهزة إعادة البث وتبادل المواد، كما يمكن أن يتم بين أي شركتي إذاعة صديقتين (وارنر، ١٩٥١).

وفي سنة ١٩٥١، دخلت هيئة الإذاعة البريطانية سنتها الثالثة عشرة في البث بالعربية إلى العالم العربي، وخلال هذه المدة حققت سمعة طيبة بأخبارها الموضوعية وبرمجتها للشؤون الجارية. ويبدو مستغرباً، على الأقل بالنظر في الأحداث بعد وقوعها، أن تتخذ هيئة الإذاعة البريطانية خطوات تعرّض مصداقيتها للخطر في زمن النزاع وأن تسرع المنافسة على المستمعين الذين اتسعت دائرة البرامج المتاحة أمامهم للاختيار منها. ويبدو أن الدافعين الرئيسيين لذلك هما استرضاء أصدقائها في وزارة الخارجية واحتمال الحصول على أجهزة إرسال جديدة وأكثر قوة في قبرص.

استشعرت وزارة الخارجية احتمال وقوع نزاع في المنطقة، فكثفت العمل في إذاعة الشرق الأدنى، متوقعة أن تلعب دوراً مهماً في تعزيز مصالح الحكومة البريطانية في المنطقة. وكان تركيب جهاز إرسال بالموجة المتوسط بقوة ١٠٠,٠٠٠ واط (وهو جهاز قوي جداً في ذلك الوقت) في سنة ١٩٥٥ دليلاً على أن الحكومة البريطانية جادة في تقديم إشارة يسهل سماعها في أنحاء كثيرة من الشرق الأوسط. وكتب جون وايتهد، منظم البرنامج العربي لهيئة الإذاعة البريطانية في قبرص، إلى لندن في ١٢ أيار/مايو ١٩٥٥، مرفقاً مقالة طويلة ظهرت في جريدة «إيجبشن غازيت» Egyptian Gazette اليومية الصادرة باللغة الإنكليزية تلحظ أن إذاعة الشرق الأدنى بدأت البث عبر مرفق جديد بقوة ١٠٠,٠٠٠ واط في ٩ أيار/مايو ١٩٥٥. وبعد أن تشير المقالة إلى أن جهاز الإرسال الوحيد الذي يبث بهذه القوة موجود في القاهرة، تلاحظ أنها الإذاعة التجارية الوحيدة في المنطقة، وأن أجهزة الاستخبارات التابعة للحكومة البريطانية أنشأتها قبل أربعة عشر عاماً، وأنها سلّمت بعد الحرب إلى شركة تجارية بغية مساندة قضية مناهضة الشيوعية ودعم المصالح البريطانية في العالم العربي (وايتهد، ١٩٥٥). ووسط وضع سياسي وعسكري واقتصادي سريع التغيير في الشرق الأوسط - بعضه بإيحاء الحركة العربية الاشتراكية بقيادة جمال عبد الناصر - غادر الجيش البريطاني منطقة قناة السويس في حزيران/يونيو ١٩٥٦، فأّمم الرئيس المصري عبد الناصر قناة السويس في الشهر التالي، مما استدعى نوعاً من المواجهة العسكرية مع الغرب، وبخاصة بريطانيا. وقد بدأ ما تحوّل إلى حرج السويس بالنسبة للحكومة البريطانية برئاسة أنطوني إيدن بقيام عاهل الأردن آنذاك، الملك حسين، بطرد الجنرال البريطاني جون غلوب من منصبه كقائد للفيلق العربي (الجيش الأردني) في آذار/مارس ١٩٥٦ (نوتنغ، ١٩٦٧). ويبدو أن التعليقات الإذاعية الصادرة من مصر لعبت دوراً في إذكاء الاستياء العربي من الغرب، وبالتالي ما أصبح أزمة السويس في نهاية المطاف. فقد كان إيدن، وفقاً لوزير الدولة للشؤون الخارجية، أنطوني نوتنغ، يعتقد شخصياً بأن غلوب طرد بتحريض من الرئيس المصري عبد الناصر. ويقول نوتنغ الذي استقال من منصبه ومن البرلمان

بسبب طريقة تعامل إيدن مع أزمة السويس، إن بريطانيا حاولت 'إحكام قبضتها على البلدان التي تسيطر عليها'، بعد أن حثت إذاعة صوت العرب 'الشعب العربي على النهوض والتخلص من الاحتلال ومن الحكام الذين يتعاونون مع «الإمبرياليين الغربيين» (نوتنغ، ١٩٦٧: ١٠).

وفي ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٦، هاجمت إسرائيل -بعلم بريطانيا وفرنسا وتأييدهما -سيناء. وبدأت حرب السويس. ففي الساعة ١١:٣٠ من صباح ذلك اليوم، اتصل سي سي بي ستيوارت من وزارة الخارجية بـ ج. ب. كلارك، مدير البث الخارجي بهيئة الإذاعة البريطانية، يبلغه بأنه سيعلن 'وضع اليد على إذاعة الشرق الأدنى في الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم' (كلارك، ١٩٥٦)، وتلك خطوة غريبة في الظاهر لأن الحكومة البريطانية تمتلك هذه الإذاعة في الواقع، لكنّها بحاجة إلى نوع من المستندات الرسميّة الداخليّة من أجل طلب مساعدة هيئة الإذاعة البريطانية لمواصلة تشغيلها.

اتضح في الساعات الأولى من الحرب أنّ هذه الإذاعة بريطانيّة جدّاً. بل كُشف في الواقع عن أنّها تخضع لسيطرة الاستخبارات البريطانية، أو الجيش البريطاني، أو كليهما. وبعد أن أعيدت تسميتها صوت بريطانيا، بدأت ببث أخبار معادية لعبد الناصر، ورسائل تطلب من المدنيين الابتعاد عن الأهداف العسكريّة (ألان، ١٩٥٧).

عندما هاجمت القوّات البريطانيّة والفرنسيّة والإسرائيليّة مصر، استخدمت وزارة الإعلام القويّة في ذلك البلد أجهزة إرسال صوت العرب بالموجة المتوسّطة والموجة القصيرة للردّ على البثّ الإذاعيّ لإذاعة الشرق الأدنى/صوت بريطانيا. وفي ١ تشرين الثاني/نوفمبر، قصف سلاح الجوّ البريطانيّ أجهزة إرسال الإذاعة المصريّة قرب القاهرة، بغية القضاء على منافس صوت بريطانيا. غير أنّ تكتيكات القصف فشلت، إذ لم تدمّر سوى الهوائيات وأبراج الإرسال، ولم يكن الضرر اللاحق بأجهزة الإرسال نفسها كبيراً. وسرعان ما حصل المهندسون على أجهزة إرسال احتياطية، لكن ليس بقوة الأجهزة السابقة، رئيس قسم الهندسة الإذاعيّة، اتحاد الإذاعة والتلفزيون، مقابلة شخصيّة، القاهرة، مصر، ١٠ آب/أغسطس ١٩٧٤). ووفقاً لعبد القادر حاتم، المسؤول عن المجهود الإعلاميّ في أثناء حرب السويس، ذكّرت إذاعة صوت العرب المستمعين بأنّ إذاعة الشرق الأدنى... يديرها جهاز الاستخبارات البريطانيّ في الواقع (حاتم، ١٩٧٤: ١٨٤). وقد قام المصريّون بشيء آخر لفت انتباه المذيعين المصريّين والعرب الآخرين في إذاعة الشرق الأدنى: 'بعد أن أوضحت الحكومة المصريّة بأنّ التعاون النشط مع هذه الإذاعات لا يقلّ عن الخيانة، فإنّها تركت الباب مفتوحاً بحكمة أمام إعادة تأهيل المذيعين وغيرهم ممن ندموا بالفعل على أفعالهم غير الوطنيّة'. وفي وقت لاحق، رجع عدد من المذيعين المصريّين السابقين في صوت بريطانيا إلى مصر وعملوا في إذاعة القاهرة (حاتم، ١٩٧٤: ١٨٤). وكان المصريّون يعرفون هويّات كل العاملين في إذاعة الشرق الأدنى لأنّ أعضاء توار المنظمة الوطنيّة للكفاح القبرصيّ كانوا يتلقون دعماً مالياً من مصر، وقد ردّوا على هذه المساعدة بطلب من الاستخبارات المصريّة بعدّة طرق، بما في ذلك التقاط صور فوتوغرافيّة داخل استديوهات إذاعة الشرق الأدنى. وقد أظهرت هذه الصور الاستديوهات من الداخل ووجوه المذيعين بحيث عرفنا هويّاتهم' (هيكل، ١٩٧١: ٨٦).

عندما بدأت حرب السويس، اتضح للحكومة البريطانية أنّها لم تكن مستعدّة تماماً

لاستغلال صوت بريطانيا كوسيلة دعائية في محاولة لجعل المستمعين العرب معادين لعبد الناصر ومؤيدين للغرب، أو مؤيدين لبريطانيا على الأقل. فقد استقال كل الموظفين العرب في الإذاعة والإنتاج (وكثير منهم فلسطينيون ومصريون)، بالإضافة إلى رالف بوستون، مدير إذاعة الشرق الأدنى البريطاني، أو طردوا. بعد أن أعلنوا على الهواء أنهم يقفون إلى جانب مصر (توماس، ١٩٦٦) - عندما أعلن عن اسم الإذاعة الجديد. وقد قال جواد زادة، وهو فلسطيني عمل في الإذاعة بين ١٩٥٣ و ١٩٥٦ أن المذيعين العرب في هيئة الإذاعة البريطانية وصلوا للمحافظة على البث الإذاعي بمساعدة الموسيقى المسجلة وبرامج أخرى (جواد زادة، الخدمة الإنكليزية، إذاعة الأردن، مقابلة شخصية، عمان، الأردن، ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٩). عكست هجمات صوت بريطانيا موقف رئيس الوزراء البريطاني أنطوني إيدن من عبد الناصر على أنه عدو، وكان موضوعها المهيم: 'بريطانيا تحب الشعب المصري، لكن عبد الناصر شرير' (هيكل، ١٩٧١: ١٠٩). ويقدم هيكل مثالا على البرامج الإذاعية الرديئة العادية لعبد الناصر في صوت بريطانيا:

كشفت البرامج الإذاعية عن جهل مدهش بالشؤون المصرية والتفكير المصري. ففي أحد الأمثلة عندما اقترح الدعاة لائحة من ثمانية أسماء لمصريين مقبولين لدى البريطانيين في حكومة جديدة، كان اثنان من الذين سمّوهم، حافظ رمضان وعلي زكي العرابي، قد توفيا بالفعل. ولم تسهم البرامج الإذاعية إلا في زيادة شعبية عبد الناصر (هيكل، ١٩٧١: ١١٠).

جرى الإعلان رسمياً على الهواء عن شيء واضح - أن الحكومة البريطانية تدير الإذاعة بعدد صغير من الموظفين الذين لم تستطع هيئة الإذاعة البريطانية تكملتهم بسبب توسع برامجها العربية بشكل كبير في أثناء الأزمة. ونظراً لعدم وجود توقعات بأن يسعى مذيعون عرب أكفاء إلى العمل في الإذاعة (خوفاً من منعهم بصورة دائمة من العمل على الهواء في الإذاعات العربية)، فقد تابعت عملها الأعرج، بتوجيه من العميد البريطاني برنارد فيرغيسون، الذي لم يكن لديه خبرة في الإعلام وأرسل إلى قبرص في ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر، قبل تسعة أيام من الهجوم البريطاني والفرنسي على مصر في ٣١ تشرين الأول/أكتوبر، لأنه كان في فترة بين مهمتين (توماس، ١٩٦٦). ويذكر جواد زادة أن فيرغيسون كان نقيض مدير الإذاعة السابق رالف بوستون في ما يتعلق بمهارات الأشخاص ومعرفته في العالم العربي (جواد زادة، مدير البرامج الأجنبية، إذاعة الأردن، مقابلة شخصية، ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٠). وبقيت الإذاعة تشكل إحراجاً في الدعاية غير الفعالة إلى أن عثر البريطانيون على طريقة تنقذ ماء الوجه بإبعاد أنفسهم عن الوضع، وتسليم الترددات وأجهزة الإرسال القوية إلى هيئة الإذاعة البريطانية التي كانت بحاجة ملحة إلى قدرة الإرسال القوية بالموجة المتوسطة في ذلك الوقت، والآن، وهي مهمة جداً للوصول إلى المستمعين في الشرق الأوسط، حتى وإن حملت الوصمة المحتملة للترددات القصيرة والمتوسطة الموجة التي كانت تصم إذاعة صوت بريطانيا السابقة. لكن بالنظر إلى تجربة بريطانيا بالبث السري إلى أوروبا القارية في أثناء الحرب العالمية الثانية، فإن إجراءاتها

المتعلّقة بإذاعة الشرق الأدنى في أثناء فترة القتال الفعلية في السويس تشير الشكوك. تصوّر ما كان يمكن أن يفكر به المستمعون الذين يتابعون صوت بريطانيا والخدمة العربية في هيئة الإذاعة البريطانية، اللتين كانتا تبثان ١٠ ساعات وخمس ساعات على التوالي (ووترفيلد، ١٩٦٦)، من قبرص عبر جهاز إرسال بالموجة المتوسطة بقوة ١٠٠,٠٠٠ واط التابعة لصوت بريطانيا. في الواقع، لم تكن كثير من برامج إذاعة الشرق الأدنى وهيئة الإذاعة البريطانية متناقضتين فحسب بخصوص السياسة البريطانية في السويس والشرق الأوسط خلال الحرب، وإنما أشارت عضوة البرلمان باربرا كاسل أيضاً إلى أن صوت بريطانيا لوّث سمعة هيئة الإذاعة البريطانية، التي طالما كانت مرجعية برامجها الإذاعية الحزب الحريز للمكانة البريطانية (كاسل، ١٩٥٦: ٨٣٢).

يذكر جواد زادة الذي عمل أشقاؤه في الإذاعة أيضاً الاجتماع الأخير لبوستون مع موظفيه، حيث انضم إليهم في تقديم استقالته بقوله إنه 'خجل من كونه بريطانياً'. وقد دُفعت رواتب الموظفين العرب الذين استقالوا على الفور تقريباً، لكنهم اضطروا للبقاء في قبرص لأنّ حرب السويس أوقفت الحركة الجوية إلى العالم العربي. وبقي بوستون، وهو قسيس أنغليكاني أيضاً، في قبرص لفترة وجيزة بعد الاستقالة وخدم جماعة صغيرة من المصلين. وفي ١ كانون الثاني/يناير ١٩٥٧، غادر زادة وأربعة من العرب الآخرين إلى بيروت، لبنان، على متن طائرة عسكرية بريطانية (جواد زادة، مدير البرامج الأجنبية، إذاعة الأردن، مقابلة شخصية، ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٠).

لم تكن البرامج الإذاعية في أثناء حرب السويس الخطأ الوحيد الذي ارتكبه بريطانيا. فقد خسرت الحرب عندما فشل رئيس الوزراء أنطوني إيدن في كسب دعم الحكومة الأميركية، فضلاً عن بعض الناخبين البريطانيين بطريقة مماثلة للدعم الذي قدّمته الصحافة والرأي العام البريطاني إلى الحكومة في الحرب العالمية الثانية. وبعد فشل محاولة إثارة اهتمام المصالح التجارية البريطانية في تولي شؤون الإذاعة، أعطيت إلى هيئة الإذاعة البريطانية في نهاية آذار/مارس ١٩٥٧، وبقيت هيئة الإذاعة البريطانية مترددة رسمياً في تحديد تاريخ أجهزة الإرسال وموقعها بدقة، مشيرة أنّ إعادة البث بالموجة القصيرة تتمّ من جهاز إرسال في الشرق الأوسط (بي بي سي، ١٩٥٨: ٢٥٤). وقد شكلت هذه المرافق، وبخاصة جهاز الإرسال بالموجة المتوسطة بقوة ١٠٠,٠٠٠ واط، وأجهزة الإرسال بالموجة القصيرة التي تملكها هيئة الإذاعة البريطانية في قبرص، أساس ما أصبح أشهر الإذاعات التي تبث باللغة العربية وأكثرها مصداقية في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات والتسعينيات (بويد، ١٩٩٩).

البحث

كان للبريطانيين علاقة دبلوماسية طويلة وفاشلة أحياناً مع الشرق الأوسط، لا سيّما مع العالم العربي. وقد تورّطت بريطانيا تاريخياً في عدن، وأدارت معظم دول الهدنة (الخليج الآن)، ومصر، والأردن والعراق وفلسطين (بموجب انتداب عصبة الأمم والأمم المتحدة). وفكّت بريطانيا تدريجياً ارتباطها السياسي والإداري المباشر بدول العالم العربي، تاركة الخليج

ومحمية عدن، وهي جزء من اليمن الآن، في أواخر الستينيات .
لقد وفرت سياسة وجود إذاعة 'مغفلة' وجاهزة' من أجل أوقات الأزمة حتى حرب السويس في سنة ١٩٥٦ العديد من المغريات لبريطانيا. فعند النظر في تاريخ البث الإذاعي البريطاني في العالم العربي بين نهاية الحرب العالمية الثانية وآذار/مارس ١٩٥٧، يرى المرء محاولة فاشلة من جانب عدة حكومات، آخرها بقيادة رئيس الوزراء أنطوني إيدن، لاستخدام إذاعة في محاولة للمساعدة في كسب عملية عسكرية غير مجدية. ولم يكن يمكن سوى لحكومة عنيدة تدير وزارة الخارجية أن تتجاهل التراث الطويل لتمرس الحكومة البريطانية في البث الإذاعي، من أجل تنفيذ ما أصبح إذاعة سرية فاشلة شكلت إخراجا لبريطانيا في العالم العربي وفي الداخل .
في ما يتعلق بتغيير المحطة من إذاعة الشرق الأدنى إلى صوت بريطانيا، فقد وقعت كل الأخطاء التي يمكن أن تقع. كان معظم الدبلوماسيين العرب وبعض المستمعين يعرفون أن المحطة أكثر من مشروع تجاري. وكانت وزارة الخارجية تطلع هيئة الإذاعة البريطانية على التطورات في المحطة، وتطلب في بعض الأحيان مساعدة تقنية وإدارية وبرمجية. وكانت هيئة الإذاعة البريطانية، التي تمول الحكومة عبر وزارة الخارجية خدماتها الإذاعية الخارجية، تتعاون شكلياً من أجل الاستفادة من أجهزة إرسال إذاعة الشرق الأدنى بالموجتين القصيرة والمتوسطة .

ويبدو أن وزارة الخارجية كانت تعتقد، عندما تولت البرمجة الفعلية باسم جديد، أن الموظفين العرب سيواصلون بثّ الدعاية البريطانية. غير أن الموظفين العرب بأكملهم ومدير الإذاعة البريطاني استقالوا عندما أعلن عن الاسم الجديد، مما أحدث فراغاً فورياً في البرمجة، لولا وصول قلة من مذيعي هيئة الإذاعة البريطانية الناطقين بالعربية للمحافظة على البث الهوائي . وفي النهاية فقدت وزارة الخارجية الدعم المتردد المقدم من الهيئة عندما كان صوت بريطانيا وهيئة الإذاعة البريطانية يثان معلومات متناقضة في الغالب إلى العالم العربي لأن كلا الإذاعتين تستخدمان الموجة المتوسطة نفسها .

لقد كان لبرامج إذاعة الشرق الأدنى، أول إذاعة لا تديرها الحكومة في الشرق الأوسط، تأثيراً إيجابياً على الإذاعات في العالم العربي في نهاية المطاف . فقد وفرت إعلاناتها عن المنتجات، مثل المسكنات والمنظفات، إلى جانب الموسيقى الرائجة والأخبار ذات المصدقية، صيغة قلدها في وقت لاحق راديو مونت كارلو الشرق الأوسط الفرنسي، والعديد من الخدمات الإذاعية التجارية التي تديرها الحكومات العربية، بما في ذلك إذاعة الشرق الأوسط المصرية، وهي إذاعة انطلقت في سنة ١٩٦٤ في أثناء رئاسة عبد الناصر .

ربما أنقذ صوت بريطانيا بإدارة العميد فيرغيسون العديد من الأرواح في أثناء حملة القصف الجوي البريطاني في حرب السويس . فبعد أن أوقف القصف مؤقتاً أجهزة الإرسال القوية للإذاعات المصرية، أصبح صوت بريطانيا الإذاعة الوحيدة ذات الموجة المتوسطة القوية في المنطقة . وكجزء من تكتيك الحرب النفسية لإظهار حجم القصف الجوي البريطاني، كانت الإذاعة تحت المستمعين باستمرار على الابتعاد عن الجسور والمطارات والقواعد العسكرية .
لقد كانت إذاعة الشرق الأدنى/صوت بريطانيا عرضاً محرراً لعدم اللياقة العسكرية والدبلوماسية من بلد يعتبر بخلاف ذلك متمرساً بالحرب الإذاعية .

شكر وتقدير

تمّ تحليل تاريخ إذاعة الشرق الأدنى في هذه المقالة بمساعدة الوثائق الحكومية التي لم تعد سرّية في أواسط التسعينيات، وأتيحت للمؤلف فرصة الوصول إليها. ويدين المؤلف بالشكر في جمع بيانات هذه الدراسة إلى قسم أرشيف خدمة المراقبة في هيئة الإذاعة البريطانية، كافرشام بارك، المملكة المتحدة، والراحلة كارول فورستر، والخدمة العالمية بهيئة الإذاعة البريطانية، لندن، وجف كوهين من شبكة الإذاعة العالمية بلندن.

المراجع

- Alan, R. (1957) ' Arab Voices, British Accents, and the Pitfalls of Propaganda', *The Reporter* 19 September.
- ' Arabic Broadcasts from London' (1938) *Great Britain and the East* 13 January. BBC (British Broadcasting Corporation) (1958) *BBC Handbook*. London: BBC.
- Bergmeier, H.P.J. and R.E. Lotz (1997) *The Inside Story of Nazi Radio Broadcasting and Propaganda Swing*. New Haven, CT: Yale University Press.
- Boyd, D.A. (1975) ' Development of Egypt's Radio: "Voice of the Arabs" under Nasser', *Journalism Quarterly* 52(4): 645-53.
- Boyd, D.A. (1999) *Broadcasting in the Arab World: A Survey of the Electronic Media in the Middle East*. Ames: Iowa State University Press.
- Browne, D.R. (1982) *International Radio Broadcasting: The Limits of the Limitless Medium*. New York: Praeger.
- Brunner, E. (1953) ' Rural Communication Behavior and Attitudes in the Middle East', *Rural Sociology* 18: 149-55.
- Castle, B. (1956) ' The Fiasco of Sharq al Adna', *The New Statesman and Nation* 29 December: 832.
- Clark, B.C. (1956) *Record of telephone conversation with C.C.B. Stewart, British Foreign Office, 30 October*. Caversham Park, UK: BBC Monitoring Service file E1/1815/1 (7).
- Critchlow, J. (1995) *Radio Hole-in-the-Head: Radio Liberty, an Insider's Story of Cold War Broadcasting*. Washington, DC: The American University Press.
- ' Establishment of a Relay Station in Cyprus to Serve the Middle East' (1956) 11 July. Caversham Park, UK: BBC Monitoring Service file E1/1815/1 (7).
- Grandin, T. (1939) ' The Political Use of Radio', *Geneva Studies* 10(3): 50-5.
- Hale, J. (1975) *Radio Power: Propaganda and International Broadcasting*. Philadelphia, PA: Temple University Press.
- Hatem, M. (1974) *Information and the Arab Cause*. London: Longman.
- Heikal, M. (1971) *The Cairo Documents: The Inside Story of Nasser and his Relationship with World Leaders, Rebels, and Statesmen*. Garden City, NY: Doubleday.
- Hurewitz, J.C. (1968) *The Struggle for Palestine*. New York: Greenwood Press.
- Last, E.C. (1951) *Letter to J.B. Clark, BBC Director of Overseas Services, 28 March*. Caversham Park, UK: BBC Monitoring Service file E1/1815/1 (7).
- Mansell, G. (1982) *Let Truth Be Told*. London: Weidenfeld and Nicolson.
- Marmorstein, E. (1948) *Memorandum: ' Near East Arabic Broadcasting Station*. BBC, 27 September. Caversham Park, UK: BBC Monitoring Service file E1/631 (4).

Mickelson, S. (1983) *America's Other Voice: The Story of Radio Free Europe and Radio Liberty*. New York: Praeger.

Nutting, A. (1967) *No End of a Lesson: The Inside Story of the Suez Crisis*. New York: Clarkson N. Potter, Inc.

Sharq al Adna schedule, 28 June (1948) Caversham Park, UK: BBC Monitoring Service.

Sharq al Adna schedule, 19 September (1950) Caversham Park, UK: BBC Monitoring Service.

Sharq al Adna schedule, 20 March (1952) Caversham Park, UK: BBC Monitoring Service.

Sharq al Adna schedule, 1 April (1954) Caversham Park, UK: BBC Monitoring Service.

Sharq al Adna schedule, 5 February (1956) Caversham Park, UK: BBC Monitoring Service.

Soley, L.C. (1989) *Radio Warfare: OSS and CIA Subversive Propaganda*. New York: Praeger.

Stewart, C.C.B. (1956) Letter classified as ' Secret' from the Foreign Office to J.B. Clarke, Esq., BBC, 28 September. Caversham Park, UK: BBC Monitoring Service file E1/1815/1 (7).

Thomas, H. (1966) *Suez*. New York: Harper Colophon Books.

Warner, C.F.A. (1951) Letter classified as ' Secret' from the Foreign Office to General Sir Ian Jacob, BBC, Broadcasting House, 13 June. Caversham Park, UK: BBC Monitoring Service file E1/613 (4).

Waterfield, G. (1966) ' Suez and the Role of Broadcasting', *The Listener* 29 December: 947-9.

Whitehead, J. (1955) Memorandum transmitting Egyptian newspaper article titled ' Cyprus Arabic Radio-Station Steps up Power', 12 May. Caversham Park, UK: BBC Monitoring Service file E1/1811/1 (14).

Wood, J. (1992) *History of Radio Broadcasting*. London: Peter Peregrinus.

World Radio Handbook (1957) Copenhagen: Lindorffsalle Hellerup.

دوغلان بويد أستاذ في دائرة الاتصالات وكلية الصحافة والاتصالات، والعميد المشارك لكلية الشؤون الدولية بجامعة كنتاكي.
العنوان

College of Communications and Information Studies, University of Kentucky, Lexington, KY 40506-0042, USA. [email: boyd@pop.uky.edu]